

في نور محمد فاطمة الزهراء

فالنبوة من أمر الله، وما كان من أمر الله لا حكم فيه إلا الله. وأيما نبي فإنه بشر، ومن ثم فهو لا يسلم من التأثر ببعض مشاعر النفس الإنسانية، وميولها الفطرية التي قد تهذبها التربية النبوية، ولكنها لا تجتذها من الجذور. فماذا لو مالت به عاطفته لأحد ولده - دون بقيتهم - ميلاً يدفعه إلى تفضيله؟ لكأنه يود أن يورثه! وأزنى له! أو يشركه في أمره! فكذلك دعا موسى ربه، إذ قال له: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَفُرَ بِرَبِّهِ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاجْعَلْ لِي سُلُوكًا مَسْرُوعًا * عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَرَثَةً مِنَ آلِي * إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَدِّدَ بِيهِ أَعْيُنَ النَّاسِ عَلَى عَدْوِي * وَاجْعَلْ لِي فِرْقَانًا * فَمَنْ حَقَّ لِي ذِكْرٌ مِنْ رَبِّي * فَقَدْ كَرِهَ الْغَافِلُونَ [1564]. * * * إن للعاطفة دوراً لا ينكر أثره في تشكيل حياة الإنسان، وفي توجيه سلوكه وسلوك من حوله ن الألى تمسهم آثارها، قربوا منه أو بعدوا عنه. ولقد شهدنا صوراً لتأثير الأنبياء بميول عاطفية وقفوا أمامها خافض الجناح! ولا تثريب عليهم ما صفت خلائقهم، فهذا من لوازم الفطرة وطبائع النفوس. ألم تر إلى نبي الله يعقوب إذ يؤثر ولده يوسف حباً على إخوته، فتنال منهم الغيرة منالها، حتى لنجدهم يكيدون لأخيهم كيداً، فيهمون بقتله، وتهم أن تعود إلى الحياة - في أشخاصهم - عشرة قبايل؟! ألم تر إلى سيد الرسل والبشر: محمد يعدل بين زوجاته في ليلته، ثم لا يسعه أن يقسم بينهم عاطفته بالسوية، فيقدم إحداهن على البقية، لأن قلبه ليس بيده بل بيد مقلب القلوب؟ * * *